مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

المسار التاريخي لنشوء مصطلح الضمير

أ.د. إحسان علي الحيدري[1]
ehsan69ali@gmail.com

الملخص:
يتناول هذا البحث، التطور التاريخي لمصطلح ومفهوم "الضمير". يتعقب البحث جذور هذا المفهوم في الحضارات القديمة والأديان السماوية، وصولًا إلى تبلوره في العصر الحديث، مع التركيز على تطوره اللغوي والاصطلاحي. باحثًا عن فكرة الضمير في حضارة وادي الرافدين، ووادي النيل، والإغريق، والرومان، وفي الشرائع اليهودية، والمسيحية، والإسلام، كذلك العروج على الجذر اللغوي لمفهوم الضمير والتعريف الاصطلاحي له، كذلك التطرق لمفاهيم مرتبطة بالضمير، مثل: تأنيب الضمير، ورضا الضمير، والضمير الإنساني.

الكلمات المفتاحية:
الضمير، تأنيب الضمير، رضا الضمير، الضمير الإنساني.

[1] أستاذ فلسفة الدين والأخلاق في كلية الآداب / جامعة بغداد

The historical path of the emergence of the term conscience

Prof. Dr. Ehsan Ali Al-Haidari[2]

ehsan69ali@gmail.com

Abstract:

This research examines the historical development of the term and concept of "conscience." It traces the roots of this concept in ancient civilizations and monotheistic religions, leading to its crystallization in the modern era, with a focus on its linguistic and terminological development. It explores the concept of conscience in the civilizations of Mesopotamia, the Nile Valley, Greece, and Rome, as well as in Jewish, Christian, and Islamic law. It also explores the linguistic roots of the concept of conscience and its technical definition, as well as concepts related to conscience, such as remorse, satisfaction of conscience, and human conscience.

Keywords:

Conscience, remorse, satisfaction of conscience, human conscience.

[2] Professor of Philosophy of Religion and Ethics at the College of Arts, University of Baghdad

المقدمة:

سنحاول في هذا البحث التحري عن مصطلح الضمير من حيث النشأة والتعريف، وذلك من خلال التقصي عن جذوره في الحضارات القديمة وفي الشرائع السماوية، ابتداءً من حضارة وادي الرافدين ووادي النيل والحضارة الإغريقية والرومانية، مروراً بالشريعة اليهودية والمسيحية والإسلامية، وكيف كان تمظهر الضمير في تلك الحقب الزمنية والديانات السماوية، وبالتأكيد سيتم العثور على دلالات تعبر عن جانب من جوانب فهمنا للضمير الأخلاقي في وقتنا الحاضر؛ لأنه من الطبيعي أن أي مصطلح حينما يظهر للعلن تكون له جذور في مراحل زمنية سابقة، ولا يكون ظهوره بشكل مفاجئ ومن دون سابق إنذار، إنما له امتدادات تاريخية سابقة تطور من خلالها الى أن وصل مرحلة النضج لكي يعبر عن نفسه بشكل جلي.

أما فيما يتعلق بالشرائع السماوية فسوف نجد دلالات معرفية نستنبط من خلالها وجود مرادفات لمصطلح الضمير، فمثلاً لم يرد ذكر مصطلح الضمير في التوراة، لكن وجدنا أن مفهوم القلب يعبر عن فهمنا الحالي لمعنى الضمير، كذلك لا نجد مصطلح الضمير مذكوراً في الإنجيل على الرغم من أن التعاليم المسيحية تشير بكثرة إليه، وعدّه صوت الرب داخل الإنسان، والحال نفسه في الشريعة الإسلامية، إذ لا وجود لذكر الضمير في القرآن الكريم، ونجد قبالته مصطلح النفس في مواضع عدة ليكون معبراً عمّا يعنيه الضمير.

أيضاً سنحاول التطرق الى الجذر اللغوي لمصطلح الضمير، ومن أول من قام بنحت جذور ذلك المصطلح، مع التطرق الى الشخصية التي حددت ما يعنيه ذلك المصطلح على وفق ما نفهمه اليوم، ومتى بدأ بالدخول الى قاموس اللغة العربية، وما هي الكلمات التي وضعت في العربية للتعبير عن المصطلح الأجنبي "conscience"، مع التطرق للتعريف الاصطلاحي للضمير، والتفرقة بين الضمير الأخلاقي والضمير النفسي؛ فضلاً عن التطرق بشكل سريع وموجز لاستعمالات الضمير عند اللغويين والمناطقة.

فكرة الضمير في الحضارات القديمة:

أولاً: حضارة وادي الر افدين (بابل وآشور):

اكتشف علماء الآثار من خلال تنقيباتهم على مجموعة من الرُقم الطينية، التي يعود تاريخها الى حضارتي بابل وآشور، والتي تشتمل على نصوص تؤكد من خلالها على وجود حالة من الوعي الأخلاقي كان يشعر بها الفرد نتيجة ارتكابه لذنب أو فعل خاطئ، وقد كان تأثير هذا الوعي قوياً على من يمتلك تلك الحالة الشعورية، ومن الدلائل التي تشير الى وجود فكرة الضمير، هو أن تلك القوة الشعورية في الفرد تخبر صاحبها بأنه على خطأ عند ارتكابه لفعل خاطئ، كما ورد في تلك النصوص، غير أن إدراكهم لفكرة الضمير قد يختلف عن إدراكنا الحالي؛ وذلك بسبب تداخل المعتقدات الدينية لديهم مع الفكر الأخلاقي، إذ كان للأرواح الشريرة تأثيراً في معتقداتهم، ولها مهابة في نفوسهم، وأوجبوا لها طقوساً خاصة؛ مما ولّد لديهم شعوراً داخلياً مفاده: إن إغضاب تلك الأرواح يكافئ اقتراف ذنب عظيم، فضلاً عن أن إغضاب الحاكم أو الكهنة يؤدي الى النتيجة نفسها، ومن ثَمَّ فإن الفاعل الذي يسبب غضب الآلهة أو الحاكم أو الكهنة يكون مستحقاً للعقوبة لا محالة[3].

لقد تم العثور على عدد من النقوش البابلية المشتملة على اقتباسات تُدلل على وجود ما يوحي بالضمير؛ من خلال حثه ـ أي الضمير ـ صاحبه على التوبة والندم عند قيامه بفعل خاطئ، وإعطائه النصائح عند الإقدام على فعل ما، كذلك وجدت إشارات في أدبياتهم تشير الى أن موضع الصدر في جسم الإنسان هو مكان المشاعر، وفيه ما يُعبر عن الضمير الباطني للإنسان[4].

ثانياً: حضارة وادي النيل (المصريون القدماء):

استدل الباحثون في تاريخ الحضارة المصرية من خلال ما عثروا عليه من نصوص آثاريه قديمة، على وجود ما يشبه الوازع الأخلاقي لدى قدماء المصريين في حدود سنة 1600 ق. م؛ من خلال وجود محكمة داخلية في النفس الإنسانية تشبه المحكمة التي ستقام في الحياة الآخرة، والتي كانوا يعتقدون بها، غير أن تلك المحكمة ما لبثت أن مُسخت مبكراً بفعل مؤثرات السحر والشعوذة التي وردت في كتاب الموتى، المؤلف من قبل كهنة المعابد للكسب منه[5].

وقد تجسدت فكرة الضمير لدى قدماء المصريين من خلال امتلاك الفرد للوعي الأخلاقي، الذي كان يميز بواسطته بين السلوك المستقيم الصائب، وبين ضده من السلوك المعوّج الخاطئ، فاستعملوا مصطلح

---

[3] See: Pinshe (T.G): Conscience (Babylonin), Essay included in Encyclopedia of Religion and Ethics, edited by James Hastings, Vol IV, Charles Scribners sons Edinburgh, New York, 1912, p 33.

[4] Loc. Cit.

ويُنظر أيضاً: مرحبا (محمد عبد الرحمن): المرجع في تاريخ الأخلاق، ج1، ط1، (جروس برس. لبنان)، سنة 1988م، ص131- 132.

[5] برستيد (جيمس هنري): فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، دار مصر للطباعة، بلا تاريخ، ص41.

"القلب" للتعبير عن ذاك الإدراك الخلقي، ولقد استمر استعمال هذا المصطلح لقرون عديدة؛ ليكون بذلك تعبيراً واضحاً عن فكرة الضمير[6].

ثالثاً: الحضارة اليونانية القديمة (الإغريق):

يجد المتتبع لمفردات القاموس اليوناني، أن الكلمات المعبرة عن فكرة الضمير تشير في اغلبها الى الجانب العاطفي من الضمير، كالخجل والندم والوخز، وفي نهاية القرن الخامس قبل الميلاد تم استعمال بعض الكلمات للإشارة الى الجانب العقلي من الضمير؛ من خلال عدّه قاضياً باطنياً، وهناك فكرة موجودة لدى الإغريق، مفادها: إن على الإنسان أن يشعر بالخجل والعار أمام ذاته، وقد تطورت هذه الفكرة لتغدو معبرة عن فكرة الذنب والشعور به، وأن هناك قانوناً باطنياً في الفرد، عليه أن يُعير له الأهمية كما يُعير الأهمية للقانون التقليدي، وعند محاولة تفحص كتابات المؤرخين اليونان، نجد نصاً لـ**(يوربيدس)**[7]، جاء فيه: «**لا يوجد ثمة شاهد أكثر هولاً، وأكثر منعاً، وأكثر اتهاماً من الضمير، الذي يسكن روح الإنسان**»، ونجد مقولة منسوبة الى **(فيثاغورس)**[8] من قبل **(ستوباؤس)**[9]، يقول فيها: «**إن الضمير يسبب ضربات أقسى من السوط**»، كذلك نجد تعبيراً لـ**(بلوتارخ)**[10] حول الضمير، قال عنه: «**إنه يجرح ويخز الروح**»[11].

ومن أبرز ملامح فكرة الضمير عند الإغريق تلاحظ عند **(سقراط)**[12]؛ من خلال ما عُرف عنده بالصوت الداخلي (صوت حكمة داخلية)، وكان سقراط يسمي هذا الصوت بصوت الإله، وأنه كان يُصغي له ساعة اتخاذ موقف حاسم، وهو الصوت نفسه الذي أمره بقول الحق عند الرد على متهميه في محكمة أثينا الشهيرة دون اكتراث للنتائج المترتبة على هذا الرد الصحيح، وهو الصوت نفسه الذي منعه من الفرار من سجنه، واستقبال الموت باطمئنان[13]، ومن مميزات هذا الصوت الداخلي هو الأمر والنهي في مواقف اتخاذ القرار، وأن بعض الباحثين عدّه صوت وحي حقيقي؛ مما يؤدي بالنتيجة الى عدّ سقراط نبياً، وبعضٌ عدّه ناتج عن مرض نفساني، غير أن اغلب الباحثين رجحوا أن يكون هذا الصوت هو صوت الضمير، وأن

---

[6] See: Foucart (Gorge): Conscience (Egyption), Essay included in Encyclopedia of Religion and Ethics, p 34 – 37.
وينظر أيضاً: برستيد (جيمس هنري): المصدر السابق، صفحة 423، كذلك: مرحبا (محمد عبد الرحمن): المصدر السابق، صفحة 131- 132.

[7] (يوربيدس) Euripides (480 - 406) ق. م: كاتب مسرحي تراجيدي يوناني كبير.

[8] (فيثاغورس) Pythagoras (نحو 570 - 497) ق. م: فيلسوف إغريقي، أسس مدرسة فلسفية، دينية، علمية، سُميت باسمه، وكانت تعاليمها سرية، وينسب إليه وضع كلمة الفلسفة للتعبير عن حب الحكمة.

[9] (ستوباؤس) Stobaeus (عاش في القرن الخامس الميلادي): مُصنف أكبر مجموعة من الأقوال التي قالها الفلاسفة والأدباء اليونانيون وتقع في أربع مجلدات، وله كتب أخلاقية ووعظية.

[10] (بلوتارخ) Plutarch (نحو 46 - 127) م: فيلسوف أخلاقي إغريقي، عرفه العرب باسم (فلوطرخس). اشتهر بترجمته لحياة المشاهير من أهل أثينا وروما، وله مؤلفات عديدة تحمل في طياتها سمات تربوية، وأسس مدرسة لتعليم الفلسفة والأخلاق.

[11] Jones (W.H): Conscience (Greek and Roman), Essay included in Encyclopedia Religion and Ethics, p 37- 40.

[12] (سقراط) Socrates (نحو 470- 399) ق. م: فيلسوف إغريقي، وأستاذ أفلاطون. قال عنه (شيشرون): «**انه من أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض**»، يُعد رائداً للفلسفة الأخلاقية، وقصة محاكمته غنية عن التعريف.

[13] يُنظر: بلدي (نجيب): مراحل الفكر الأخلاقي، دار المعارف، مصر، سنة 1962م، ص35 – 37.

تحليل البعض لاكتفاء(**سقراط**) بالمعرفة النظرية للخير، وإهماله للجانب العملي اعتقاداً منه بأن الخير أصل ثابت في النفس الإنسانية، وأن هذا الأصل الثابت يولّد ما نسميه بالضمير، الذي يشكل دور الضابط لحركتنا، بحيث يعطينا الأوامر باستمرار من خلال الإقدام على فعل الخير، والإحجام عن فعل الشر[14].

على الرغم من كون الإغريق امتلكوا العديد من المفردات اللغوية التي تُشير الى العاطفة المرتبطة بالنقد الأخلاقي للذات، إلا انهم لم يتوصلوا الى مصطلح موحد يلّخص كل تجربتهم لعمل الضمير، ومحاولة استعماله شعبياً.

رابعاً: الحضارة الرومانية:

اتخذت فكرة الضمير عند الرومان في بداية الأمر حالة من الوعي الشديد للالتزام بالقوانين الخارجية (الدين – الدولة - التقاليد) المفروضة عليهم، وبعد تدهور دين الدولة ونظامها بدأ نفوذ السلطات يضعف؛ مما أحدث انقلاباً لأفكار الرومان بالتوجه صوب ذواتهم، ونقل الولاء الى داخل نفوسهم؛ فأصبحوا يدركون أنهم يمتلكون في سرائرهم على قاضٍ ومتهم ودليل، وقد ساهم انتقال تعاليم (**المدرسة الرو اقية**)[15] إليهم ـ مع امتلاكهم للغةٍ تمتاز بغنى ألفاظها الدالة على الإلزام ـ في تطور فكرة الضمير، وتحديد معالمه في مصطلح "Conscientia"[16].

على الرغم من استعمال فلاسفة الإغريق لمصطلح معين ومحاولة تكريس طاقاتهم لتحسين النموذج الأخلاقي الذي يحكم على وفقه الضمير، إلا أن تبني الرومان لمصطلح "Conscientia"؛ ساهم في التعبير عن فكرة الضمير أكثر من مكافئه الإغريقي، فالمصطلح اليوناني القديم كان يعبر عن فكرة الذنب والندم، في حين أن المصطلح الروماني يعبر عن المحفزات الباطنية للضمير المُشرّع دون الارتباط بدين الدولة[17].

يُعد (**شيشرون**)[18] أول من استعمل مصطلح "Conscientia" في كتاباته، وأراد التعبير به عن الضمير الدليل، الذي يقود الناس الى التفرقة ما بين الصواب والخطأ، وقد جاء المصطلح أيضاً معبراً عن حالة الوعي التي يمتلكها الفرد، وعلى الرغم من قلة استعمال (**شيشرون**) لهذا المصطلح اللاتيني، إلا انه

---

[14] يُنظر: الآلوسي (حسام)، الفلسفة اليونانية (قبل أرسطو)، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد - العراق)، سنة 1990م، ص 148 – 150، كذلك: السمحراني (أسعد): الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ط3، دار النفائس، (بيروت .لبنان)، سنة 2005م، ص69 .70.

[15] (الرواقية) Stoicism: أطلق هذا الاسم على (زينون) وجماعته نسبة الى رواق (بوليجنوتس) في أثينا، حيث أتخذه زينون مقراً له، يجتمع فيه مع تلاميذه، والرواقية مذهب أخلاقي مرَّ بدورين: الأول في أثينا في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، ومن رجالات هذا الدور أو المرحلة (زينون) و (أقريسيبوس)، أما الدور الثاني فكان في روما حيث انتقلت إليها تعاليم الرواقية لحين انتهائها في نهايات القرن الثالث للميلاد، ومن رجالاتها (سنكيا) و(ابيكتيتوس) و(ماركوس اوديليوس)، وقد كان من ضمن اهتماماتهم المنطق.

[16] See: Jones (W.H): Op. Cit, p 40-41.

[17] Loc. Cit.

[18] (ماركوس توليوس شيشرون) Marcus Ttullius Cicero (106 - 43) ق. م: فيلسوف وسياسي وكاتب روماني، ألف عدداً من الكتب الفلسفية، ويُعد من نقلة الفلسفة اليونانية الى اللاتينية. وامتازت كتاباته بصيغ الحوار، وقد ابتكر ألفاظاً فلسفية باللاتينية قُدر لها السريان، وقد قُتل على يد جنود (أنطونيوس).

أضحى مصطلحاً شائعاً فيما بعد، وتطور هذا المصطلح بعده، وأمسى أكثر تميزاً، وعُدّ مقدساً يتهم ويقاضي، وظهرت مصطلحات الضمير المذنب والضمير النقي عند **(سنيكا)**[19] وآخرون[20].

فكرة الضمير في الشرائع السماوية:

أولاً: الشريعة اليهودية:

يُعد الضمير عنصراً جوهرياً في نظام الفلسفة الأخلاقية اليهودية، فهو القوة الدافعة، والحكم الأخير على سلوك الإنسان الأخلاقي، إنه القاضي وفي الوقت نفسه المعيار الأعلى الذي بواسطته تُقاس الأعمال من خلال علاقة الإنسان بربه وجيرانه، إن مبدأ الاستقامة الذي يبطن الضمير يمكن أن يكون صفة شرعية على نحو خالص، بينما يتجاوز الضمير الأشكال الشرعية، وينبثق من دوافع أعلى من تلك المتعلقة بالطاعة للقانون وأداء المراسيم، وقوة الدافع مفهوم أكثر حقيقة للعلاقة بين الإنسان والرب، وأن موقع المفهوم الأعلى للواجب الأخلاقي المفروض ذاتياً هو القلب، الذي يقوم في العبرية مقام العقل والعاطفة والوعي والضمير، فمصطلح القلب النقي كما ورد في المزامير[21]، يعبر عن الضمير النقي والعقل الخالص والمفهوم النبيل للواجب المُنجز بدون أي دافع آخر غير الرغبة في تطهير الذات[22].

ورد مصطلح الضمير في الوصايا الاثنا عشر، ضمن نص مفاده: «وحتى الآن يسبب لي ضميري عذاباً، بسبب عدم تقواي»، وجاء في بعض الوصايا ما يفيد معناه: البحث عن الحكم في ضمير الشخص، وإيجاد العقاب للذنب الأخلاقي متمثلاً في ندم الضمير، وجاء عن **(النبي إيليا)**[23] كلام عن الشعور بالمسؤولية الخلقية الكامنة في نفوسنا تجاه الأفعال اللاأخلاقية ضمن كتاب يعود للمرحلة التلمودية (قبل القرن التاسع الميلادي)، ولقد ساهم الحاخامات في إبراز جانب الإلزام الخلقي من خلال إدخال عدة تحريمات الى تعاليم بني إسرائيل، وأن معظم الواجبات الأخلاقية التي ذكرت في التلمود[24] قد استعملت بانتظام صيغة تتقدمها، هي "hayyab adam"، والتي تُعبر عن كون الإنسان مُلزم بضمير أخلاقي لأن يفعل هذا أو ذاك، ولم يتم استعمال هذه الصيغة في الأوامر القانونية[25].

حدث تغير في نهاية القرن التاسع الميلادي نتيجة التأثير غير المباشر للفلسفة اليونانية، والتأثير المباشر للفلسفة الإسلامية، وبدأت أنساق الفلسفة اليهودية تتطور، وأصبح هنالك توجه خاص للجانب

---

[19] (لوسيوس أنيوس سنيكا) Lucius Annaeus Seneca (نحو 5 ق. م – 65م): فيلسوف رواقي روماني ومن أشهر الشخصيات الفكرية الرومانية في زمانه، أحدث تغييرات في المذهب الرواقي، وامتازت فلسفته بالطابع الأخلاقي، وقد انتحر بأمر من (نيرون) على الرغم من كونه كان مؤدباً للأخير.

[20] Loc. Cit.

[21] المزامير: مجموعة أناشيد من أسفار العهد القديم (التوراة)، تنسب الى النبي داود، وتحتل مقاماً بارزاً في صلوات المسيحيين.

[22] Gaster (M): Conscience (Jewish): Essay included in Encyclopedia Religion and Ethics, p 41-42.

[23] (النبي إيليا) (نحو 880 - 850) ق.م: من أنبياء بني إسرائيل.

[24] التلمود: من أهم كتب الديانة اليهودية التي دونت بعد التوراة، ويشتمل على مجموعة من الشرائع الشفهية والتقاليد.

[25] Ibid, p 43-44.

الأخلاقي، وقد كان التأثر قبل تلك المرحلة بكل من **(أفلاطون)**[26] و**(فيلو)**[27]، ولكن بعد ذلك تغير التأثر ليتجه صوب **(أرسطو)**[28] والفلاسفة المسلمين، فضلاً عن رجال المدارس الكلامية الإسلامية، وفي تلك المرحلة كتب **(بهاي)**[29] أول كتاب فلسفي أخلاقي في العبرية تناول فيه واجبات القلب، وقد عدّ الضمير الحكم الأخير والحافز الحقيقي الباطني والدليل على كل الأفعال الأخلاقية، أما **(موسى بن ميمون)**[30] فقد رأى أن الإنسان فاعل حرفي في كل أفعاله الأخلاقية، وأن الروح في الإنسان هي مهد المعرفة، ومن خلالها تنبعث الدوافع نحو الفعل أو عدمه، وأن من يكافئ ويعاقب تجاه الأفعال التي لم يأمر بها الشارع المقدس ولم ينه عنها فهو ضمير الإنسان.

وأكدّ كذلك على الانسجام بين العمل الجيد والفكرة الجيدة، وممارسة الإنسان لحرية الإرادة، تلك الإرادة الحرة التي ينبغي عليها أن تطلب الخير لذاته، وأن تجتنب الشر لذاته، دون توقع مثوبة أو الخوف من عقوبة[31].

على الرغم من أن مفردة الضمير لم تذكر في التوراة، إلا أن مفردة القلب كانت المُعبر الأقرب عنه، وأن الأخير هو مركز الإنسان ومنه تصدر القرارات، وفيه تسكن الأفكار الجيدة والرديئة، وأن نظرة التوراة للضمير كانت كمحل اختبار بين الإنسان وربه[32].

ثانياً: الشريعة المسيحية:

عند تناول الجانب الأخلاقي للفلسفة المسيحية بالدراسة، نعثر على تعريف للضمير عند الآباء الأوائل[33]، مفاده: «**إنه مرشد الطبيعة الروحية للإنسان، وهو المفرّق بين الخيروالشر**»[34]. وعند الدخول

---

[26] (أفلاطون) plato (نحو 427-347) ق. م: اسمه الحقيقي (اريستوقلس) وكنيته (أفلاطون) وتعني صاحب الجبهة العريضة، أسس مدرسة في بستان (أكاديموس) وسميت لذلك بالأكاديمية، يُعد (أفلاطون) وتلميذه (أرسطو) من أعظم فلاسفة اليونان واشتهر بنظرية المُثل وكانت له مؤلفات عديدة في مجالات المعرفة الإنسانية ومن أشهرها كتاب (الجمهورية).

[27] (فيلو) Philo (نحو 20 ق.م-40م): فيلسوف يهودي، حاول التوفيق بين الفلسفة والدين.

[28] (أرسطو) Aristotle (نحو 384-322) ق. م: فيلسوف يوناني، يُعد أفضل فيلسوف جامع لكل فروع المعرفة الإنسانية، لقب بالمعلم الأول وكان أستاذه (أفلاطون) يلقبه بالعقل لشدة ذكائه، وهو مؤسس المدرسة المشائية ومربي (الإسكندر المقدوني)، ويعد مؤسساً لعلم المنطق.

[29] (بهاي) Bahay: فيلسوف أخلاقي يهودي، عاش في القرن الحادي عشر الميلادي.

[30] (موسى بن ميمون)Maimonides (1135-1204) م: من أبرز فلاسفة اليهود في العصور الوسطى، حاول التوفيق بين الفلسفة والدين.

[31] Ibid, p 45-46

[32] الراعي (الأب منير): تربية الضمير، جمعية التعليم المسيحي، حلب، سنة 2004م، أنترنت:
http://www.talimmasihi.com/ahadis_2003-2004_tarbiataldamir.htm

[33] الآباء الأوائل: هم أساتذة العصر الوسيط أمثال (أوغسطين) و(ديونيسيوس) و(بويس). يمتد عصرهم من منتصف القرن الرابع الميلادي الى نهاية القرن الثامن الميلادي.

[34] See: Hyslop (J.H): Conscience, Essay included in Encyclopedia Religion and Ethics, p 31.

الى ساحة العصر المدرسي نجد **(أبيلارد)**[35] قد وضع كتاباً في الأخلاق بعنوان (اعرف نفسك)، تناول فيه إرجاع المسألة الخلقية الى الضمير والنيّة[36]، ولا يفوتنا أن نعرج على تعريف **(توما الأكويني)**[37] للضمير، إذ عدّه: «**ترجمةً للناموس الطبيعي في مبادئه العامة في و اقع ما يحياه الإنسان في ظروف معينة وخاصة، فهويدفع الى عمل ما هوخير، والابتعاد عمّا هوشر**»، ونجد تعريفاً للضمير عند التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية بوصفه: «**حكم صادر عن العقل يعرف به الشخص البشري الصفة الأخلاقية للفعل الو اقعي الذي سيفعله أو يفعله الآن أو قد فعله، وعلى الإنسان في كل ما يقول أو يفعل، أن يتبع بأمانة ما يعلم أنه قويم وحق، والإنسان إنما يدرك ويعرف رسوم الشريعة الإلهية بحكم الضمير**»، أما المجمع الفاتيكاني الثاني[38]، فقد عرض رؤية عن كيان الضمير، جاء فيها: «**يكتشف الإنسان في ذات ضميره ناموساً يصدرعنه، ولكنه مُلزمٌ بطاعته، وصوته يدعوأبداً في آذان قلبه: أن افعل هذا، وتجنب ذاك! إنه ناموس حفره الله في قلب الإنسان، وكرامته في أن يخضع له، وبموجبه سوف يُدان، إن صوت الضمير يدعو الإنسان الى تحقيق ذاته، بما يفرضه عليه من فعل الصلاح، فيكون هو نفسه صالحاً**»[39].

تحث التعاليم المسيحية كل شخص على أن يكون له من الحضور في نفسه ما يجعله يسمع صوت ضميره ويتبعه، فالضمير شريعة من روحنا، ولكنه يتجاوزها، ويصدر إلينا الأوامر ويشعرنا بالمسؤولية والواجب والخوف والرجاء، إنه رسول الرب الذي يكلمنا من وراء الستار، والضمير يدفع بالإنسان لأن يكون شخصا مسؤولاً عن حياته في إطار علاقته مع الآخرين، وأن الكائن الأخلاقي في الديانة المسيحية مُلزم بالخضوع لحكم الضمير، وأن مخالفته بمنزلة حكم الإنسان على نفسه بنفسه، والمسيحية تُفصح عن وجود رابط قوي بين الضمير النقي والإيمان الحقيقي، وكلما قلّ إيمان الشخص أصاب الضمير الخلل، وتعطي للتقاليد والبيئة وقوانين الدولة دوراً في المساهمة لبناء الضمير السليم[40].

---

[35] (بيترا أبيلارد) Peter Abellard (1079-1142) م: فرنسي، يعد من أشهر فلاسفة العصر الوسيط. اشتهر بالجدل ودرس اللاهوت وتأثر بالاسمية، وأتهم بالإلحاد لأنه اقر بان الخطيئة شخصية وليست موروثة عن أبينا آدم ولا دخل للمسيح بالخلاص.

[36] كرم (يوسف): تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار القلم، (بيروت .لبنان)، سنة 1979م، ص 105.

[37] (توما الأكويني) Thomas Aquinas (1225-1274م): قديس ومعلم وفقيه الكنيسة العبقري، وأكبر فلاسفة العصر الوسيط. سميت فلسفته بالتوماوية والمستمدة من (أرسطو)

[38] المجمع الفاتيكاني الثاني: مجمع مسكوني يحضره الأساقفة للتداول في شؤون الكنيسة، وقد عقد في روما للفترة من (1962-1965) م. دعا إليه يوحنا 23واختتمه بولس 6.

[39] عزيز (سامر نمرود): كرامة الإنسان في المفهوم المسيحي الإكليريكي، مجلة مدارك، العدد الأول، مؤسسة مدارك لدراسة آليات الرقي الفكري، أنترنت:
http://www.madarik.net/mag1/7.htm

[40] See: Hormann (karl): An Introduction to moral theology, translated by Edward Quinn, Burns and Oates limited, London, 1961, p 83.

وينظر: سقال (الأب منير): الضمير الأخلاقي، الأحاديث اللاهوتية، جمعية التعليم المسيحي، حلب، سنة 2000م، أنترنيت:
http://www.talimmasihi.com/ahadis_1999-2000_aldamiralakhlaki.htm

لم ترد مفردة الضمير تحديداً في الإنجيل، وان أول مصطلح استعمل للتعبير عن الضمير المسيحي هو "Syneidesis"، وكان من قبل **(القديس بولس)**[41] في رسائله الى أهل روما، وهذا المصطلح مشتق من فعل يوناني يدل على صيغة "عُرف بالارتباط مع"، فالضمير ليس مجرد معرفة ووعي، بل هو معرفة مرتبطة بشيء أو شخص ما، وقد جاء ذلك تعبيراً عن كون الإنسان يعرف من خلال ضميره الأعمال الخلقية؛ نتيجة الارتباط بإرادة أعلى من إرادته واسمى منها، هذه الإرادة هي إرادة الله، وهي ما تسمى بالشريعة، وعلى الإنسان أن يحيا على وفق هذه الشريعة؛ لذلك يكون الضمير معبراً عن حالة الوعي التي من خلالها يعرف الإنسان أنه يمتثل للشريعة الأخلاقية أو لإرادة الله؛ ومن ثَمَّ فإن الضمير لا يخبرنا عن حقيقة ما نحن عليه فقط، بل يخبرنا عمّا ينبغي أن نكون عليه نتيجة عدّه معرفة ارتباطية، وأوامر الضمير طوعية غير قسرية، وهي تكسب الإنسان وعيه لإنسانيته، وتميزه عن الحيوان، والضمير من حيث الشكل معصوم عن الخطأ، ولكنه من حيث المضمون ليس كذلك؛ لأن مضمون الأحكام التي يصدرها الضمير تعتمد على مقدار معرفة الشخص بإرادة الله[42].

ثالثاً: الشريعة الإسلامية:

إن محاولة البحث عمّا يعنيه الضمير في الشريعة الإسلامية، يستتبعه بالضرورة البحث في غمار اللغة العربية؛ بوصفها اللسان المعبر عن النص القرآني الكريم، وعند الخوض في غمار هذه اللغة من خلال معاجمها القديمة، فضلاً عن كتب الفلاسفة المسلمين؛ فإننا لا نجد استعمالاً لمفردة الضمير كمصطلح أخلاقي مثلما هو متعارف عليه اليوم عندنا، وقد جاء معنى هذه المفردة معبراً عمّا ضُمر في النفس، إذ جاء في الأثر المشهور: «**ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه، وقسمات وجهه**»[43]، هذا من حيث المعنى، أما من حيث اللفظ فقد استعملت ألفاظ أخرى مثل كلمة "واعظ"، إذ ورد في الحديث النبوي الشريف: «**إذا أراد الله بعبدٍ خيراً، جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه**»، ومثل كلمة "زاجر"، فقد قيل: «**من لم يكن له من نفسه زاجراً، لا تنفعه الزواجر**»، وعند التمعن في الحديث الشريف والقول المأثور، نجد أن لفظ "واعظ" تحمل معنى الأمر بعمل الخير، والنهي عن ارتكاب الشر، أما لفظ "زاجر" فتعني المنع أو الحيلولة دون عمل الشر[44].

---

[41] (القديس بولس) Apostle Paul: يهودي، كان من ألد أعداء المسيحية وفجأة تحول الى المبشر الرئيسي لها، ولقب برسول الأمم، وان أكثر تعاليم المسيحية تستند الى أفكاره، واسمه الحقيقي شاول. قطع رأسه في روما سنة 67م.

[42] See: Bourke (Vernon): Ethics, Second printing, Collier-Macmillan Limited, London, 1967, p 215-220.

وينظر: محفوظ (الأب باسيليوس): الضمير المسيحي، سنة 2007م، أنترنيت:

http://www.tebayn.com/Tebayn%20Arabic/index.asp?pageiD=1&SID=415

[43] ينظر: بدوي (عبد الرحمن): الأخلاق النظرية، ط2، وكالة المطبوعات، الكويت سنة 1976م، ص53، كذلك: كامل (ماهر) وعبد المجيد عبد الرحيم: مبادئ الأخلاق، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة 1958م، ص168.

[44] See: Margoliouth (D.S): Conscience (Muslim) ،Essay included in Encyclopedia of Religion and Ethics, p 46-47.

وعند البحث عن القوة التي تقوم مقام الضمير في نصوص الفكر الإسلامي، نجدها غير محددة؛ لأن القرآن الكريم ـ وهو المصدر الأول لهذا الفكر ـ لم يحدد بوضوح لفظاً معبراً عن هذه القوة، وإنما أورد ألفاظاً متعددة للتعبير عنها، والتي تقوم بوظيفة الضمير بمعناه الأخلاقي، فتارة تستعمل النفس للتعبير عن وظائف الضمير بعد أن يضاف إليها ما يلائمها من الصفات لمعرفة الخير والشر، كقوله تعالى: «**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {7} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا {8} قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا {9} وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا {10}**»[45]، وتارة تعبر النفس عن تأنيب الضمير، كقوله تعالى: «**لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ {1} وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ {2}**»[46]، فالإنسان حين يرتكب ذنباً يسمع نداء اللوم والعتاب صادراً من باطنه ليقضّ عليه مضجعه. وفكرة الضمير في الشريعة الإسلامية تمثلت من خلال قوة أودعها الله تعالى في الإنسان تشتمل على استعداد لإدراك الخير، وتميزه عن الشر، لكنها لا تتمكن منذ البداية من ترجيح أحدهما على الآخر؛ ولذا فهي بحاجة إلى التربية كعامل يسهم في نضوج إدراكها[47].

يُلاحظ في سورة الشمس[48]، أن الله تعالى يُقسم بالشمس وضحاها، ثم يقسم بالنفس الإنسانية والاعتدال الذي فيها، وكيفية إلهامها ـ من لدنه تعالى ـ الفجور والتقوى؛ والذي بواسطته يُعرف الحسن من القبيح، وأن الضمير حينما يصيبه الخلل في التمييز بين الصفتين الأخيرتين "الحسن والقبح"، فلا يعني أن أساسه غير فطري، ولكنه مثل بقية القوى النفسية الأخرى للإنسان، لها حالة سلامة وحالة انحراف، وفي الحالة الأخيرة لا يقوم الضمير بعمله الصحيح؛ وعليه فالأساس فطري ثابت، ولكن العمل متغير بحسب المحيط الاجتماعي، كما يلاحظ في سورة القيامة، أن الله تعالى قد وضع النفس اللوّامة في موقع موازي لموقع يوم القيامة، حيث تتشكل محكمة العدل الإلهي لبني البشر ويوضع الميزان، ويوازيه الميزان في النفس الإنسانية، والمتمثل بالضمير[49].

وعند البحث في نصوص التأريخ الإسلامي، نجد أحاديث قد حملت معانٍ مقاربة لما أوردنا بشأن الضمير، بوصفه واعظاً وزاجراً، إذ جاء في إحدى خطب **(الإمام علي{ع})**[50]، أنه قال: «**واعلموا أنه من لم يُعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر؛ لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ**»، كما روي عن

وينظر: مدكور (إبراهيم): في الأخلاق والاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1974م، ص7-8، كذلك: قابيل (عبد الحي محمد): المذاهب الأخلاقية في الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (القاهرة-مصر) سنة 1984م، ص87.

[45] القرآن الكريم: سورة الشمس آية 7-10.

[46] المصدر نفسه، سورة القيامة آية 1-2.

[47] ينظر: قابيل (عبد الحي محمد): المصدر السابق، ص92-93، كذلك: فلسفة (محمد تقي): الطفل بين الوراثة والتربية، ج1، تعريب: فاضل الحسيني، ط3، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت-لبنان) سنة 2002م، ص277-278.

[48] تقرأ سورة الشمس الآيات من 1-10.

[49] ينظر: المطهري (مرتضى): تحقيق نظرية نسبية الأخلاق، ترجمة: لجنة الهدى، ط1، دار البلاغة، سنة 1991م، ص150-162.

[50] (الإمام علي {ع}) (23 ق. هـ. 40هـ): هو (علي بن أبي طالب). أول من أسلم من الرجال، وابن عم (النبي محمد {ص}) وزوج ابنته (الزهراء {ع}) ووالد ذريته، وهو أول الأئمة الاثنا عشر عند الشيعة ورابع الخلفاء الراشدين عند السنة، تم جمع خطبه في كتاب (نهج البلاغة) من قبل (الشريف الرضي).

حفيده (زين العابدين{ع})[51]، أنه قال: «**يا ابن آدم، إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همك**»[52].

يتضح من ذلك إن الإنسان بحاجة إلى واعظ وهو يسلك طريق الدنيا، وما تشتمل عليه من منزلقات؛ ليكون معه في كل حال، ويعلم أسراره الداخلية، ويكون رقيباً عليه ومعه دائماً، وأي عاملٍ أفضل من الواعظ الداخلي (الضمير)؛ ليتولى القيام بهذا الدور، وينبه الإنسان إلى منزلقات الطريق وتعقيدات المسير، ويصده عن الانحراف والسقوط في الهاوية.

مصطلح الضمير ما بين جذوره وتعريفاته:

أولاً: الجذر اللغوي لمصطلح الضمير:

بعد أن تم تسليط الضوء على فكرة الضمير في الحضارات القديمة والشرائع السماوية، وفيها تم العثور على بعض الدلالات التي تشير إلى وجود هذه الفكرة، وان اختلفت في شدة الوضوح؛ جرّاء التتابع الزمني، وما يشتمل عليه من تطور فكري؛ نتيجة الاندماج الحضاري، فضلاً عن تعاليم الأنبياء التي كان أحد محاورها الرئيسة هو نشر الأخلاق الحسنة والابتعاد عن الرذائل المذمومة، وخير دليل على ذلك ما جاء على لسان خاتم الأنبياء والمرسلين **(محمد {ص})** بقوله: «**إنما بُعثت لأُتمم مكارم الأخلاق**»[53]، وسبق أن أوردنا بعض النصوص القرآنية التي تشير إلى أن الله تعالى قد وهب الإنسان استعداداً فطرياً يتمكن من خلاله التمييز بين الخير والشر، وأن للتربية والمجتمع أثر كبير في تكامل هذا الاستعداد؛ ليكون قوة مؤثرة في نفس الإنسان.

أما الآن فنود أن نستعرض التسلسل الزمني لوصول مصطلح الضمير إلينا اليوم بوصفه قوة مميزة بين الخير والشر يمتلكها كل إنسان، مع اختلاف تأثيرها فيه، وهنا يُثار تساؤل مفاده: من أي لغة انبثق؟ وعن أي مصطلح تجذّر؟

سبق أن ذكرنا، أن أول مصطلح استعمل شعبياً، وحددت معالم الضمير فيه، هو المصطلح اللاتيني "Conscientia"، وقد ثبّت تاريخياً من **(شيشرون)**، وأن هذا المصطلح مأخوذ أساساً من الصيغة اللاتينية "con-scicta"، والتي تعني معرفة المرء بداخله (معرفة نجاح الشخص وإخفاقه في العيش)[54].

---

[51] زين العابدين {ع}) (38-95) هـ: رابع الأئمة الاثنا عشر عند الشيعة، وهو ابن (الحسين بن علي بن أبي طالب {ع})، من آثاره (الصحيفة السجادية) و(رسالة الحقوق).

[52] الشيرازي (ناصر مكارم): الأخلاق في القرآن، ج1، تعريب: المؤسسة الإسلامية للترجمة، ط1، مطبعة أمير المؤمنين، (قم. إيران) سنة 1425 هـ، ص127-128.

[53] الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن): مجمع البيان في تفسير القرآن، ج10، دار إحياء التراث العربي، (بيروت. لبنان)، سنة 1379 هـ، ص333.

[54] Hyslop (J.H): Op. Cit, p 30.

أيضاً: فروم (إريك): الإنسان من اجل ذاته، ترجمة: محمود الهاشمي، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق. سوريا)، سنة 2007م، ص191.

وهنالك من أرجع المصطلح السابق إلى مصطلح لاتيني سابق عليه، وهو "conscire" ومعناه شاعر بخطأ، الذي بدوره مأخوذ من مصطلح إغريقي، وأن المصطلح اللاتيني الأخير يشبه معناه كلمة "Inwit" في الإنكليزية القديمة التي كانت تعبر عن مصطلح الضمير[55].

بمرور الوقت استعملت الفرنسية القديمة مصطلح "conscience" لتستعيض به عن مصطلح "conscientia" اللاتيني وتعبر من خلاله عن الضمير والوعي في آن واحد، وبعد ذلك استعارت الإنكليزية الوسطى المصطلح الفرنسي؛ لتعبر به عن الإدراك الباطني للصفة الأخلاقية لدوافع الشخص وأفعاله، بعدها استعمل بوصفه ملكة تحكم على أفعال الشخص فتستحسن الصواب وتدين الخطأ، وتحديداً عبّر المصطلح الإنكليزي "conscience" عن كونه ملكة تمييز بين الخير والشر في سنة 1225م[56]، ولقد وردت المفردة السابقة في الكتب الإنكليزية معبرة عن الندم ووخز الضمير سنة1608م، ووردت معبرة عن الفكرة الباطنة والعقل والقلب سنة1611م، وورد مصطلح "المراقبة بضمير" سنة1671م، غير إن كتابات **(بتلر)**[57] كان لها التأثير البارز في تثبيت هذه المفردة لتحمل المعنى السابق الذي تم إيراده سنة 1225م[58].

أما في اللغة العربية، فإن مصطلح الضمير بمعناه الفلسفي الأخلاقي، قد ظهر حديثاً في القاموس العربي، في حدود المرحلة الممتدة ما بين نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وذلك حينما أراد اللغويون إيجاد مفردة تقابل المفردة الإنكليزية "conscience"، فوقع خيار الأغلبية على مفردة "الضمير"، وعبّر بعض الكتاب عنه "بالوجدان"[59]، وبعد مدة من انطلاق حركات الترجمة، والتوجه نحو إدخال الثقافات الغربية إلى المجتمع العربي ـ ولا سيما الفرنسية منها ـ نجد أن خلطاً قد حدث في فهم مصطلح الضمير، فأصبح مثار جدل ونقاش؛ كونه استعمل للتعبير عن الضمير بمعناه الأخلاقي، وأيضاً بمعناه النفسي (الوعي)، وسبق أن وقعت اللغة الفرنسية في هذا الغموض من قبل؛ فعمدوا إلى استعمال قرينة مع الضمير؛ للدلالة عليه من حيث كونه معبراً عن معنى أخلاقي أو معبراً عن حالة نفسية، فنجد أن مصطلح "conscience morale" يعبر عن الضمير الأخلاقي، في حين أن مصطلح "conscience psychologique" يعبر عن الضمير النفسي أو الوعي، أما الإنكليز والألمان فقد تنبهوا إلى هذه المسألة، فميّزوا بين الضمير الأخلاقي والضمير النفسي، إذ استعمل الإنكليز للمعنى الأخلاقي مصطلح "conscience"، وأما

---

[55] Mackenzie (John): A Manual of Ethics, University Tutorial press. LD, London, 1929, p 117-118.
وينظر: كامل (ماهر) وعبد المجيد عبد الرحيم: المصدر السابق، ص 168.

[56] بدوي (عبد الرحمن): الأخلاق النظرية، ص53.

[57] (جوزيف بتلر) Joseph Butler (1692-1752) م: رجل دين وفيلسوف أخلاقي إنكليزي، شغل مكانة مهمة في الفلسفة الأخلاقية الإنكليزية، وتضمنت آراؤه الأخلاقية في كتابه (المواعظ) سنة 1726م وتضمن خمس عشرة موعظة، فضلاً عن كتابه (رسالة في طبيعة الفضيلة)، ويرجع الفضل لـ (بتلر) في تثبيته مصطلح الضمير في الكتابات الإنكليزية بوصفه ملكة تمييز بين الخير والشر.

[58] Little (William): The Shorter Oxford English Dictionary on historical principles, third edition, Oxford at the Clarendon press, 1964, p 373.

[59] استعملت كلمة (الوجدان) تعبيراً عن الضمير في اللغة التركية Vicdan.

الألمان فقد استعملوا مصطلح "Gewissen"، أما المعنى النفسي، فقد استعمل الإنكليز مصطلح "consciousness"، والألمان استعملوا مصطلح "Bewusstein"، وقد أقدم بعض الكتّاب العرب إلى استعمال كلمة "الشعور" للتعبير عن الضمير النفسي من باب أن الشعور يمثل وظيفة هذا الضمير، وإن كان لا يُظهر حقيقته، وقد شاعت عند الكتّاب والباحثين في الآونة الأخيرة كلمة "الوعي" للدلالة عن الضمير النفسي[60].

نود أن ننوه إلى إننا سنستعمل كلمة "الضمير" للتعبير عن الكلمة الإنكليزية "conscience" في هذا البحث، دون كلمة "الوجدان"؛ لكون الأخيرة تُعبر عن الجانب العاطفي في الإنسان كما هو شائع، وهو ما قد يسبب خلطاً بين آراء الكتّاب العرب، الذين تم استعمال مؤلفاتهم في هذا البحث[61].

ثانياً: التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الضمير:

الضمير لغةً، هو السر وداخل الخاطر، والجمع ضمائر، والضمير هو الشيء الذي تضمره في قلبك، كقولي: أضمرت في نفسي شيئاً، وأضمرت الشيء(أخفيته)[62]، أما اصطلاحاً، فهو «**قوة حاكمة في مجال الأخلاق**»[63].

ورد تعريف الضمير في (معجم لالاند)[64] الفلسفي، بوصفه: «**خصوصية العقل البشري في إصدار أحكام معيارية، قيمية، تلقائية، وفورية على القيمة الأخلاقية لبعض الأعمال الفردية المحددة، عندما يطبق هذا الضمير على أعمال الفاعل المقبلة، فإنه يرتدي رداء صوت يأمر أو يمنع، وعندما يُقال على الأعمال السالفة، فإنه يُترجم بمشاعر سرور (رضى) أو ألم (تأنيبات)، ويوصف حسب الأحوال، بأنه صافٍ، غامض، مشبوه، صالح... الخ**»[65]، وجاء في أحد المعاجم الإنكليزية، إن الضمير هو ذلك «**الحس الباطني الذي يميز بين الصواب والخطأ من خلال تعلّقه بالسلوك الأخلاقي**»[66].

أما في المعاجم الفلسفية العربية الحديثة، فقد عُرف الضمير بوصفه: «**استعداد نفسي لإدراك الحسن والقبيح من الأفعال، مصحوب بالقدرة على إصدار أحكام أخلاقية مباشرة على قيمة بعض**

---

[60] مدكور (إبراهيم): المصدر السابق، ص 8.

[61] مثال ذلك: إن كتابات (توفيق الطويل) تستعمل مفهوم "الوجدان" للتعبير عن الجانب العاطفي للطبيعة البشرية، في حين أن كتابات (عادل العوا) تستعمل مفهوم "الوجدان" للتعبير عن مصطلح الضمير، ولكن كلاهما يستعمل مصطلح "الضمير" بالمعنى نفسه، وهذا السياق يسير على سائر مؤلفات الكتّاب العرب والنصوص المستوحاة من كتبهم.

[62] ابن منظور: لسان العرب المحيط، تصنيف: يوسف خياط، مج2، دار لسان العرب، (بيروت. لبنان)، (د.ت)، ص 547. 548.

[63] خياط (يوسف): معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، (بيروت. لبنان)، (د. ت)، ص 404.

[64] معجم لالاند: أشهر معجم فلسفي باللغة الفرنسية. استغرق تدوينه من سنة (1900-1926) م من قبل الفيلسوف الفرنسي (أندريه لالاند) وهو أستاذ الفلسفة في جامعة السوربون، وكانت المداولات حول المعجم تعرض على الجمعية الفرنسية للفلسفة في جلسة خاصة تعقد كل عام.

[65] لالاند (أندريه): موسوعة لالاند الفلسفية، مج1، ط1، منشورات عويدات، بيروت وباريس، تعريب: أحمد خليل، سنة 1996م، ص 212-213.

[66] Fox (Robert) Encyclopedia International, first edition, Grolier Society of Canada Limited, 1964, p 5 and p 176.

الأفعال الفردية، ويطلق أيضاً على الملكة التي تحدد موقف المرء إزاء سلوكه أو تتنبأ بما يترتب على هذا السلوك من نتائج أدبية واجتماعية»[67]، وفي معجم آخر، جاء بوصفه: **«قوة أصيلة في النفس تدرك الحقائق الراجعة إلى الفضيلة والرذيلة، فتؤنب صاحبها عند مخالفته لها، وتشعره بالارتياح عند مو افقته لها»**[68].

توجد تعريفات أيضاً للضمير من الفلاسفة، منهم على سبيل المثال لا الحصر: تعريف **(بواراك)**[69] الذي عدّه **«معرفة الخيروالشر»**، وتعريف **(لوسن)**[70] الذي تم استخلاصه من مجمل آرائه حول الضمير، بوصفه: **«ملكة الإقرار والاستهجان»**[71]، وآخر قال عنه: **«هو تلك القوة الروحية الخفية التي تحث الإنسان على فعل الواجب»**[72].

هناك من حاول الربط بين البُنية اللغوية والاصطلاحية للضمير، من باب أن الضمور حركة تضم وتتجه نحو الداخل، وتضمر ما في الصدر أو النفس أو القلب أو العقل، أي إنها تضمه وتبطنه، وفي الوقت نفسه نجد أن ضمُرَ تؤآخي في البنية اللغوية الجذر خمرَ وأمرَ؛ وعليه فان الضمير عبارة عن مجموع ما يخامر السر، وما يأمر الإنسان، ويكون ذلك كله في حالة ضمور إلى أن يأخذ شكلاً ضُرامياً باتجاه العمل، وهذا ما نلقاه في مقلوب فعل ضمر أي رمض الذي يعني التوقد والاندماج بحركة نحو الأمام[73].

وقد استعمل النحويون كلمة الضمير بشكل مغاير تماماً، إذ أرادوا به ما كُنّي عن المتكلم أو المخاطب أو الغائب، كذلك نجد أن المناطقة استعملوا هذه الكلمة بمعنى آخر من خلال استعمالهم لمصطلح "قياس الضمير"، وهو عبارة عن قياس حُذفت مقدمته الكبرى، وهنالك مجموعة من المصطلحات التي استعملت كلمة الضمير ضمن مصطلح؛ للتعبير عن حالة شعورية تتعلق بالجانب الأخلاقي أو للتعبير عن أمر كلي، مثل[74]:

1. **تأنيب الضمير:** وهو عبارة عن اللوم الذي يوجهه الإنسان الى نفسه؛ بسبب انتهاكه لقاعدة أخلاقية، ويعقب ذلك ندم على الفعل، وتوبة لعدم العودة لمثل هكذا أفعال.

---

[67] صليبا (جميل): المعجم الفلسفي، ج1، الشركة العالمية للكتاب، (بيروت-لبنان)، سنة 1994م، ص 763-764.

[68] نور الدين (عباس): معجم المصطلحات الأخلاقية، ط1، مركز باء للدراسات، (بيروت .لبنان)، سنة 2006م، ص 47.

[69] (بواراك) Boirac (1851-1917) م: فيلسوف أخلاقي فرنسي.

[70] (لوسن) (1882-1954) م: فيلسوف فرنسي وأستاذ فلسفة الأخلاق في جامعة السوربون.

[71] بدوي (عبد الرحمن): الأخلاق النظرية، ص 56-58.

[72] المولى (محمد أحمد جاد): الخلق الكامل، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت .لبنان)، سنة 2005م، ص 244.

[73] زيعور (علي): ضمير (وجدان)، بحث ضمن الموسوعة الفلسفية العربية، تحرير: معن زيادة، مج1، ط1، معهد الإنماء العربي سنة 1986م، ص 543 -544.

[74] ينظر: الحفني (عبد المنعم): المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص3، مكتبة مدبولي، (القاهرة .مصر)، سنة 2000م، ص 485-486، كذلك: صليبا (جميل): المصدر السابق، ج1، ص 764، أيضاً: إبراهيم (زكريا): مبادئ الفلسفة والأخلاق، مكتبة مصر، (د.ت)، ص 128.

2. **رضا الضمير:** وهو مقابل للمصطلح الأول من حيث المعنى، وهو يعبر عن الرضا لما يشعر به الفرد؛ نتيجة تأديته للواجب، وسلوكه طريق الفضيلة، ولكن أحياناً يكون هذا الشعور سلبياً؛ كونه ناتج عن مجرد اللافعل، كأن لم يفعل ما فعله الآخرون، مما كانت نتيجة أفعالهم عقاباً على ما ارتكبوه من خطأ أو أثار فيهم ألماً، وهو شعور خدّاع مضلل، وفي هذا السياق يقول (جون ستيوارت مل)[75]: «**سقراط ساخطاً أفضل من خنزير راضياً**».

3. **الضمير الإنساني:** وهو يمثل صوتنا الموجود في كل كائن بشري، والمستقل عن العقوبات والمكافآت الخارجية، وهو استجابة شخصيتنا الكلية لأدائها الوظيفي الصحيح.

الخاتمة:

[75] (جون ستيوارت مل) John Stuart Mill (1806- 1873) م: فيلسوف إنكليزي، برز في المنطق ومناهج للبحث العلمي، ويعد من أكبر دعاة مذهب المنفعة العامة، له مؤلفات عديدة في مجال الفلسفة والأخلاق والسياسة والمنطق، مثل كتاب (نظام المنطق) سنة 1843م، و(مقال في الحرية) سنة 1859م، و(المذهب النفعي) سنة 1861م، يعد معارضا للمذهب العقلي ومؤيدا للمذهب الحسي.

وصلنا الآن الى نهاية المطاف للبحث المقدم بشأن المسار التاريخي لنشوء مصطلح الضمير بعد أن قمنا بجولة سريعة في مجموعة من الحقب الزمنية من خلال التنقل بين حضارات وادي الرافدين ووادي النيل والحضارة الإغريقية والرومانية، وعثرنا على أن الضمير لم يكن له وجود بصيغته الحالية، وإنما هي مجموعة من الإرهاصات التي مثلت الجذور الأولى لنشأة مصطلح الضمير، فنجد مثلاً في حضارة وادي الرافدين وجود خلط بين الوعي الأخلاقي والتعاليم الدينية مع وجود إشارة الى أن موضع ذلك الشعور الأخلاقي هو الصدر، وعند الانتقال الى حضارة وادي النيل نعثر أيضاً على وجود وعي أخلاقي وقد تمثل عندهم بالقلب، أما في الحضارة الإغريقية فنجد أن التعبير عن الضمير كان يتمثل في الشعور الأخلاقي الذي يميز بين السلوك الخاطئ والصائب، وهناك من عبر عن الصوت الداخلي الذي تحدث عنه سقراط بالضمير، في حين نجد في الحضارة الرومانية أن شيشرون أول من نحت مصطلح "Conscientia" الذي أراد من خلاله التعبير عن الضمير الذي يقود الناس الى التفرقة ما بين الصواب والخطأ.

وعند الانتقال الى الشرائع السماوية للبحث عن مفهوم الضمير في الكتب المقدسة الأساسية لديهم وجدنا أن هذا المفهوم لا وجود له سواء في التوراة أو الإنجيل أو القرآن، لكن عثرنا على مجموعة من الدلائل التي تشير الى المعنى المرادف لمفهوم الضمير، ففي الشريعة اليهودية كان القلب يعبر عن الضمير، وفي الشريعة المسيحية نعثر على تأكيدات كثيرة لرجال المسيحية على مفهوم الضمير بوصفه صوت الرب الداخلي، وعند الانتقال الى الشريعة الإسلامية وجدنا النفس قد تم استعمالها في عدة مواضع للتعبير عن مفهوم الضمير.

يُعد بتلر أول من استعمل مصطلح "conscience" للتعبير عن الضمير، وبقيت تلك التسمية الى يومنا هذا، في حين نجد أن مصطلح الضمير بمفهومه الأخلاقي لم يدخل الى قاموس اللغة العربية إلا في نهايات القرن التاسع عشر، حين تم ترجمة المصطلح الأجنبي على الرغم من أن بعض المترجمين العرب توجه لاستعمال مصطلح "الوجدان" بدلاً عن الضمير، كذلك نجد خلطاً بين الضمير الأخلاقي والضمير النفسي الذي يعبر عنه بالوعي، وهناك تعريفات اصطلاحية متعددة لمصطلح الضمير تتلخص جميعها في كونه القوة المميزة بين الخير والشر مع وجود اختلاف إن كانت تلك القوة مصدرها الوجدان أم العقل أم المجتمع والبيئة.

مصادر البحث ومراجعه:

1. إبراهيم (زكريا): مبادئ الفلسفة والأخلاق، مكتبة مصر، (د.ت).
2. ابن منظور: لسان العرب المحيط، تصنيف: يوسف خياط، مج2، دار لسان العرب، (بيروت .لبنان)، (د.ت).
3. الآلوسي (حسام)، الفلسفة اليونانية (قبل أرسطو)، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد . العراق)، سنة 1990م.
4. بدوي (عبد الرحمن): الأخلاق النظرية، ط2، وكالة المطبوعات، الكويت سنة 1976م.
5. برستيد (جيمس هنري): فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، دار مصر للطباعة، (د. ت).
6. بلدي (نجيب): مراحل الفكر الأخلاقي، دار المعارف، مصر، سنة 1962م.
7. الحفني (عبد المنعم): المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص3، مكتبة مدبولي، (القاهرة .مصر)، سنة 2000م.
8. خياط (يوسف): معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، (بيروت - لبنان)، (د. ت).
9. الراعي (الأب منير): تربية الضمير، جمعية التعليم المسيحي، حلب، سنة 2004م، أنترنيت:
10. http://www.talimmasihi.com/ahadis_2003-2004_tarbiataldamir.htm
11. زيعور (علي): ضمير (وجدان)، بحث ضمن الموسوعة الفلسفية العربية، تحرير: معن زيادة، مج1، ط1، معهد الإنماء العربي سنة 1986م.
12. سقال (الأب منير): الضمير الأخلاقي، الأحاديث اللاهوتية، جمعية التعليم المسيحي، حلب، سنة 2000م، أنترنيت:
13. http://www.talimmasihi.com/ahadis_1999-2000_aldamiralakhlaki.htm
14. السمحراني (أسعد): الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ط3، دار النفائس، (بيروت . لبنان)، سنة 2005م.
15. الشيرازي (ناصر مكارم): الأخلاق في القرآن، ج1، تعريب: المؤسسة الإسلامية للترجمة، ط1، مطبعة أمير المؤمنين، (قم .إيران) سنة 1425 هـ.
16. صليبا (جميل): المعجم الفلسفي، ج1، الشركة العالمية للكتاب، (بيروت-لبنان)، سنة 1994م.
17. الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن): مجمع البيان في تفسير القرآن، ج10، دار إحياء التراث العربي، (بيروت .لبنان)، سنة 1379 هـ.

18. عزيز (سامر نمرود): كرامة الإنسان في المفهوم المسيحي الإكليريكي، مجلة مدارك، العدد الأول، مؤسسة مدارك لدراسة آليات الرقي الفكري، أنترنيت: http://www.madarik.net/mag1/7.htm
19. فروم (إريك): الإنسان من اجل ذاته، ترجمة: محمود الهاشمي، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق. سوريا)، سنة 2007م.
20. فلسفي (محمد تقي): الطفل بين الوراثة والتربية، ج1، تعريب: فاضل الحسيني، ط3، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت-لبنان) سنة 2002م.
21. قابيل (عبد الحي محمد): المذاهب الأخلاقية في الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (القاهرة-مصر) سنة 1984م.
22. كامل (ماهر) وعبد المجيد عبد الرحيم: مبادئ الأخلاق، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة 1958م.
23. كرم (يوسف): تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار القلم، (بيروت. لبنان)، سنة 1979م.
24. لالاند (أندريه): موسوعة لالاند الفلسفية، مج1، ط1، منشورات عويدات، بيروت وباريس، تعريب: أحمد خليل، سنة 1996م.
25. محفوظ (الأب باسيليوس): الضمير المسيحي، سنة 2007م، أنترنيت:
26. http://www.tebayn.com/Tebayn%20Arabic/index.asp?pageiD=1&SID=415
27. مدكور (إبراهيم): في الأخلاق والاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1974م.
28. مرحبا (محمد عبد الرحمن): المرجع في تاريخ الأخلاق، ج1، ط1، (جروس برس. لبنان)، سنة 1988م.
29. المطهري (مرتضى): تحقيق نظرية نسبية الأخلاق، ترجمة: لجنة الهدى، ط1، دار البلاغة، سنة 1991م.
30. المولى (محمد أحمد جاد): الخلق الكامل، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت. لبنان)، سنة 2005م.
31. نور الدين (عباس): معجم المصطلحات الأخلاقية، ط1، مركز باء للدراسات، (بيروت. لبنان)، سنة.

1. Hyslop (J.H): Conscience, Essay included in Encyclopedia Religion and Ethics.
2. Bourke (Vernon): Ethics, Second printing, Collier-Macmillan Limited, London, 1967.
3. Foucart (Gorge): Conscience (Egyption), Essay included in Encyclopedia of Religion and Ethics.
4. Fox (Robert) Encyclopedia International, first edition, Grolier Society of Canada Limited, 1964.
5. Gaster (M): Conscience (Jewish): Essay included in Encyclopedia Religion and Ethics.
6. Hormann (karl): An Introduction to moral theology, translated by Edward Quinn, Burns and Oates limited, London, 1961.
7. Jones (W.H): Conscience (Greek and Roman), Essay included in Encyclopedia Religion and Ethics.
8. Little (William): The Shorter Oxford English Dictionary on historical principles, third edition, Oxford at the Clarendon press, 1964.
9. Mackenzie (John): A Manual of Ethics, University Tutorial press. LD, London, 1929.
10. Margoliouth (D.S): Conscience (Muslim)، Essay included in Encyclopedia of Religion and Ethics.
11. Pinshe (T.G): Conscience (Babylonin), Essay included in Encyclopedia of Religion and Ethics, edited by James Hastings, Vol IV, Charles Scribners sons Edinburgh, New York, 1912.